

بسم الله الرحمن الرحيم

حصاد المشروع الإيراني في سورية

ما بعد بشار



بقلم نبيل شبيب

المحتوى

- ١- مقدمة: بين يدي حقبة تاريخية جديدة
- ٢- الردّة الثورية: ولادة التحالف الثنائي الإيراني - الأسدي
- ٣- عداوات ومودة: إيران وتقلب العلاقات الدولية
- ٤- الفوضى الهدامة: أعاصير مضادة لثورات شعبية
- ٥- خطوط حمراء: واشنطن والعقبة الصهيونية
- ٦- مرتكزات السيطرة: المشروع الإيراني في سورية
- ٧- مرتكزات الهيمنة: المشروع الإيراني عبر سورية
- ٨- ثورة التغيير: أثر الثورة في سورية إقليمياً ودولياً
- ٩- ما وراء الأفق: نظرة استشرافية وتوصيات

مقدمة بين يدي حقبة تاريخية جديدة

جميعنا شهود ولادة حقبة تاريخية جديدة، وكثير منا يستشعر آلام المخاض فيتوجس من حقبة قادمة أسوأ من الراحلة، إنما نحتاج إلى نظرة أعمق وأشمل، تتجاوز تركيز كل منا على موقع أقرب إليه من مواقع أقطار ممزقة وأجساد دامية وانتكاسات متعددة، لنتمكن من استشراف جماعي، لمعالم تغيير كبرى مشتركة، لا تزال طيّ الغيب.

ما كانت الثورات الشعبية مجرد إسقاط أنظمة محلية وتنصيب أخرى، ولا مجرد تقويض شبكة علاقات سابقة لكل نظام على حدة ونسج شبكة بديلة، فهذا تصنعه "انقلابات"، أما تحرك الشعوب جماعيا في أكثر من بلد في وقت واحد، فيحمل أبعادا "فوق القطرية".. وقد وصفناه بالعفوي، ليس بسبب غياب "تخطيط تقليدي" فحسب، بل أيضا لضعف قدرتنا على رؤية نسيج التشابك في هذا التحرك الواسع، بعد "اعتيادنا" على العيش وراء "حدود قائمة" وعلى أنظمة "محلية ودولية" حريصة على أن "توهمنا" منذ عقود وعقود، بأنها أبدية لا تتزعزع ولا تتبدل.

نتحدث عن سورية، أو مصر، أو فلسطين، أو اليمن.. وهكذا مع كل قطر وكل قضية، ونغفل عن المشهد المتكامل وهو واحد جغرافيا وموضوعيا. إن هذا التحرك الشعبي "خطوة أولى" نعايشها في حاضرننا، ونستشرف "خطوات تالية" تظهر حصيلتها للعيان في مستقبل أولادنا وأحفادنا، ومن يعايش "بداية" تغيير جذري شامل، لا يرى مسبقا أبعاده وكنهه، ولكن نقدرها قياسا على حصيلة تحركات تاريخية كبرى سابقة، فضلا عما صنعه الرسائل الربانية من تغييرات جذرية في مسار التاريخ البشري.

...

في هذه اللوحة من المسار التاريخي احتلت الثورة الشعبية في سورية مكانة خاصة، وتبين حجم أبعادها الإقليمية والدولية، نشأة وتأثيرا وحصيلة، وهذا ما يحدد موضع السؤال في هذا البحث عن "حصاد المشروع الإيراني في سورية ما بعد بشار".. فهو السؤال عن "جانب واحد في بلد واحد" من جوانب التغيير، ولكن يستحيل أن نراه كما ينبغي، دون خلفيته الإقليمية والدولية وأبعاده المستقبلية.

وليس طرح هذا الموضوع وليد اللحظة الآنية، بل بدأ منذ بدايات الثورة في سورية، إنما اختلف أسلوب الطرح والتوقعات المرتبطة به مع اختلاف الظروف، سنة بعد أخرى.

لم يكن قد مضى على اندلاع الثورة الشعبية في سورية سوى شهور معدودة عندما بدأت التكهنات والتقديرات حول "مشروع الهيمنة.. ومصير النظام"، وكان غالبا في البداية بعيدا عن الحقيقة المشهودة الآن، إنما تطور الطرح تدريجيا وتناول زوايا متعددة، من ذلك على سبيل المثال دون الحصر:

صدرت التصريحات الرسمية الإيرانية الأولى تتحدث عن ضرورة "إصلاحات" في سورية، فذهبت الكاتبة الصحفية هدى الحسيني -مثلا- بعيدا بقولها: (معلومات مؤكدة واردة من طهران تشير إلى... أن إيران تعدّ الترتيبات لـ "اليوم ما بعد الأسد")⁽¹⁾.

وتوالت خلال العام الثاني للثورة التصريحات الرسمية الدولية "المناصرة" وانتشر الوهم أنها مواقف صادقة وقاطعة ستليها إجراءات عملية وحاسمة، وليست مجرد وعود، قد تكون مخادعة، أو هي قابلة للتبدل على الأقل.. ومن هذا المنظور مضى الكاتب الصحفي طارق الحميد -ككثير سواه- إلى القول: (فلا بد من الشروع بالاستعداد لإيران ما بعد الأسد، وفي كل منطقتنا)^(٢).

وبدأ في العام الخامس للثورة ظهور معطيات جديدة على الأرض، في جنوب سورية وشمالها، فتجدد الحديث عن الموضوع مع توقعات مشابهة لما سبق، كحديث السياسي والصحفي علي حمادة من الدروز في لبنان -مثلا- عن وضع "مرحلة ما بعد الأسد على الطاولة"، وتحديدًا حسب مقاله: على طاولة لقاء أمريكي خليجي في كامب ديفيد^(٣).

ومع ظهور كثير من المعطيات الجديدة خلال عام ٢٠١٥م بدأ طرح السؤال في صيغة أكثر تفصيلا وتحديدًا للمقاصد، ويعبر عنها مثلا قول الكاتب اللبناني المعروف أسعد حيدر (يجب أن تقتنع طهران، أنه لا يمكنها الانتصار بالأسد، وأن سقوط الأسد لا يعني سقوطها. الإيراني قادر على التفاوض، فقد أثبت قدراته في المفاوضات النووية. يجب أن تعرف طهران أنها فتحت أبواب "جهنم" الصراع المذهبي الكامن منذ ١٤٠٠ سنة، وأن عليها الإسراع في رأب الصدع)^(٤).

ويمكن أن نضيف إلى ذلك الكثير، مثل ما جمع في التصريحات الرسمية الخليجية بين الترحيب الحذر وبين المخاوف من نتائج "الاتفاق النووي" مع إيران لصالح مشروع هيمنتها الإقليمية، مع تركيز تلك التصريحات على الوضع في سورية أكثر من سواه.

...

نحن في هذا الموضوع:

- أمام تطور العلاقة بين "مشروع إقليمي مستمر.. ونظام محلي ساقط" ..

- وأمام السؤال: ما الذي سيصنعه "مشروع الهيمنة" إقليميا، مع نتائج سقوط "نظام زائل" محليا؟

- أما منطلق الحديث فقد صنعه الواقع، إذ كان النظام الأسدي دوما "العكازة المحلية" في سورية، في منطقة "إقليمية" يستهدفها المشروع الإيراني، منذ نشأته الأولى مع الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩م، وعبر مسلسل العمل الدائب لتصديرها، أو تصدير "هيمنتها" بالإكراه.

وقد قيل الكثير حول السؤال المطروح موضوع البحث، كما قيل عن سواه من الجوانب في مسار ما سمي "الربيع العربي"، ويلاحظ:

١- زمنيا: غلبة تقلب التحليلات تأثرا بتقلب الأحداث السريع..

ونحتاج إلى بيان معالم كبرى تساعد على ضبط المتابعة والرؤية والتأثير.

٢- جغرافيا: التركيز على مواطن الاختلاف بين ثورة وثورة، ومنطقة ومنطقة، وموقف وموقف، والاختلافات كبيرة..

ونحتاج إلى رؤية القواسم المشتركة لاستخلاص التفاعل المشترك الأصح مع الأحداث، كي تصب النتائج في حصيلة مشتركة.

٣- تاريخيا: توارثنا من حقب وتجارب تاريخية سابقة "قواعد بدهية للتحليل والاستنتاج"، ولكن عند تطبيقها على مسار "الثورات" غلبت علينا الغفلة عن وجود عناصر "جديدة" في حدث "جديد" لا تسري عليها قواعد "الماضي والتاريخي" ..

ونحتاج إلى قواعد تجسد إسهام الأعلام في "إبداع" معاصر، "لمواكبة" "مكامن إبداع" ثوري تغييري. وليس ما تطرحه الفقرات التالية سوى إسهام محدود في نطاق واجب كبير، يتطلب النهوض به بحوثا ودراسات وحوارات وتواصلًا مكثفًا، ليتحقق التكامل، وبالتالي ليتمكن صنع ما نحتاج إليه "زمنيا.. وجغرافيا.. وتاريخيا" من أجل استيعاب أعماق للحدث "تحليلا واستشرافا" ولنطرح بين يدي الجيل الذي يصنع التغيير، ما يساعد على تحقيق أهدافه في حقبة تاريخية جديدة.. لم نصنع مثلها في الماضي الذي عشناه أو درسناه، إنما نأمل أن يتمكن جيل التغيير من بناء دعائمها في مستقبل قادم.. ليس متوقعا لمعظمنا أن يعيشه بنفسه.

هوامش

(١) هدى الحسيني، "إيران تخطط لما بعد الأسد"، الشرق الأوسط، ١ / ٩ / ٢٠١١ م

<http://archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=638273&issueno=11965#.Vb8cB3jG4fM>

(٢) طارق الحميد، "فكروا في إيران ما بعد الأسد"، جريدة الشرق الأوسط، ٧ / ٨ / ٢٠١٢ م

<http://archive.aawsat.com/leader.asp?article=689852&issueno=12306#.VbzZTHjG4fM>

(٣) علي حمادة، "مرحلة ما بعد الأسد على الطاولة"، جريدة النهار اللبنانية، ١٤ / ٥ / ٢٠١٥ م

<http://newspaper.annahar.com/article/236580-مرحلة-ما-بعد-الأسد-على-الطاولة>

(٤) أسعد حيدر، "ما هي الخطوة التالية لما بعد الأسد؟"، المستقبل اللبنانية، ١٦ / ٦ / ٢٠١٥ م

<http://www.almustaqbal.com/v4/Article.aspx?Type=NP&ArticleID=664985>

الردّة الثورية

ولادة التحالف الثنائي الإيراني الأسدي

خسارة إيران للنظام الأسدي هو حسب تعبير الكاتب الصحفي طارق الحميد (زلزال سياسي مدوّ يستشعره الملاي تحت أقدامهم بطهران، مثلما سيستشعره حسن نصر الله في الضاحية الجنوبية)^(٥) والواقع أنه ليس مجرد زلزال "سياسي"، وهذا ما يتضح عبر النظر في نوعية جذور التحالف الثنائي الإيراني، ولم يكن هذا سهلا قبل الثورات الشعبية، التي ساهمت في تضائل نسبة من يتعاملون مع "الشعارات" وكأنها حقائق بديهية، رغم وضوح اهترائها وتساقطها، وكان من تلك الشعارات التي بذلت لتعميمها في العقود الماضية جهود كبيرة، إعلامية في الدرجة الأولى:

١- ثورة إيران عام ١٩٧٩م إسلامية ضد الاستبداد.. وليست مذهبية أو إيرانية قومية

٢- النظام الأسدي نظام استبدادي.. ولكنه عربي قومي وممانع مقاوم

ويرتبط بذلك أيضا القول بأسلوب ترويج الشائعات وليس البحث التاريخي العلمي:

٣- إن التحالف بين النظامين نشأ بسبب الحرب الإيرانية-العراقية (١٩٨٠ / ٩ - ١٩٨٨ / ٨ م).

لا يصح شيء مما سبق.. بل كان التحالف الثنائي بجذوره الأولى وعلى امتداد العقود التالية تحالف "التلاقي غير الإسلامي وغير القومي" على رؤى وممارسات صنعها "مصالح السيطرة" كقواسم مشتركة بين الطرفين، وهو ما يشمل ممارسات الاستبداد داخليا ومشاريع الهيمنة إقليميا، وكذلك العداء للإسلام طائفيا، والعداء للقومية العربية والقضية الفلسطينية سياسيا، وجميع ذلك مع تطبيق ممنهج من اللحظة الأولى لممارسة العنف المطلق سلوكيا، ورفع شعارات تضليلية في حزمة "المقاومة والممانعة".

وقد ظهرت أثناء الثورات الشعبية دراسات وبحوث مستفيضة حول ذلك، ويتوقع المزيد على ضوء تعاقب الأدلة والوقائع، ويقتصر الأمر في السطور التالية على بعض "النماذج" المعبرة عن ملامح كبرى لانحرافات التحالف الثنائي من لحظة ولادته وليس نتيجة تطورات سياسية وغير سياسية لاحقة.

١- بين "نصرة المستضعفين" و"تحالف المستبدين"

وجدت ثورة إيران في البداية تأييدا شعبيا شمل تيارات إسلامية عربية واسعة، وارتبط التأييد تلقائيا بعاملين اثنين:

١- رمزية إسقاط نظام الشاه الأعتى استبدادا في حينه والأكثر ارتباطا بالهيمنة الغربية والمشروع الصهيوني

٢- التوهم بأن شعار "نصرة المستضعفين" يعد بدعم الشعوب "ضد الأنظمة الاستبدادية"

ولكن التأييد العفوي كان مشروطا في واقع الحال، بالأ تسقط إيران في انحراف طائفي مذهبي أو استبدادي سياسي، ومن ذلك مثلا ما ورد في ختام كتيب بعنوان "مع ثورة إيران" من عام ١٩٧٩ / ١٩٨٠م ساهم كاتب هذه السطور في صياغته ونشره^(٦).

وظهر الانحراف بأسرع من المتوقع، وكان أول ما تجلّى في التحالف "الفوري" مع النظام الأسدّي، إذ سبب صدمة كبيرة لمن توقع دعم "إيران الثورة" لأهل سورية في مواجهة "القمع الأسدّي الإجرامي الدموي" أثناء أحداث ١٩٧٩ - ١٩٨٢م، المتزامنة مع إسقاط الشاه وطرده.

وقد شهد على هذا الانحراف "الفوري" ممثلو حركات إسلامية عديدة لبّت دعوة المسؤولين الجدد في إيران للمشاركة في احتفالاتهم بمرور السنة الأولى على إسقاط الشاه.. وكان الاحتفال في شباط/فبراير عام ١٩٨٠م أي بعد شهور معدودة من اندلاع ما سمي أحداث الثمانينات في سورية، وفوجئ من لبّي الدعوة بأن الزعامة السياسية الجديدة في طهران دعت أيضا النظام الأسدّي بصفة "ضيف شرف"، فحضر مفتي حافظ الأسد ووزير أوقافه آنذاك، ثم كان الترحيب واضحا للعيان من جانب المسؤولين بحديث الوزير عن "إنجازات رئيسه في الدفاع عن الإسلام"، وذلك أثناء ارتكاب المذابح في أكثر من مدينة وبلدة في سورية آنذاك، وظهرت ردود الأفعال أثناء الاحتفالات، وكان من بينها كلمة طلب إلقاءها كاتب هذه السطور ولم تكن ضمن البرنامج الرسمي للاحتفالات، وجاء فيها:

(إنّ قلوب المستضعفين المتجاوبة معكم يا ثوار إيران يقظة واعية، ويمكن أن يخيب أملها، ويخبو تجاوبها، إن رأيت أيدي الثوار الأحرار، تمتدّ إلى أيدي حكام، هم السبب في مقتل الشهداء، ونكبة الأبرياء.. إلى أيدي حكام، قد يتمسّحون بالإسلام والإسلام من طغيانهم براء.. أو أيدي من يسير في ركابهم، أو يدافع عنهم سواء بسواء..)^(٧).

٢- التوجه الطائفي يند الشعارات الإسلامية

من البداية ظهرت التوجهات الطائفية في مسار "الثورة الإيرانية" وقد أصبحت "سلطة في دولة"، فغاب شعار الثورة الإيرانية السابق: "لا شيعية ولا سنية.. إسلامية إسلامية"، وجرى تأبينه وما شابهه بالإعلان عن شعارات أخرى عديدة، كان بعضها بمنزلة الأهداف، مثل "مبايعة الخميني إماما للأمة" و"تصدير الثورة".. وهذا مع استثناء سورية تحديدا، وقد ظهر ذلك بوضوح في احتفالات ١٩٨٠م المذكورة آنفا، فآنذاك لم يطالب المسؤولون الإيرانيون الجدد الضيوف الأسديين بمبايعة "الخميني"، كما صنعوا مع سواهم من المدعوين.. ووجدوا الرفض بطبيعة الحال.

لقد استهدف التوجه الطائفي الإيراني بلدانا وقضايا عديدة، واتخذ لذلك صبغة سياسية وإعلامية تحت رداء الدعوة وعنوان "الوحدة الإسلامية"، أما في سورية فقد وجد في النظام الأسدّي شريكا، وهذا ما يفسر سرعة التحالف الثنائي، وترسيخه أثناء ممارسة القمع الدموي وارتكاب المذابح الأسدية في حماة وجسر الشغور وسواهما في "أحداث الثمانينات"، بل بدأ منذ ذلك الحين اعتماد الأساس الطائفي في تشكيل "الميليشيات المسلحة" فكان أولاها في لبنان باسم منظمة "حزب الله".

وحول أسباب اعتماد إيران على النظام الأسدّي والتحالف معه، يقول الباحث الجامعي د مازن هاشم في كتابه "التحولات الكبرى في المشرق العربي": (متّلت سورية موضعا مثاليا لتحقيق المآرب الإيرانية بعيدة المدى

للأسباب التالية) ويعدد ستة أسباب، أولها: (ارتكاز استبدادية النظام السوري على شبكة طائفية ناقمة على المجتمع، يجعلها استبدادية من نوع خاص مستعدة للتتكب عن الوجهة الوطنية تمحورا طائفا..)^(٨)

٣- شعار المقاومة وضرب المقاومة

في قضية فلسطين تحديدا اتخذ التحالف الإيراني الأسدي صبغة ارتكاب "جريمة عن سابق علم وإصرار"، جمعت إلى جانب اغتيال المقاومة الفلسطينية (قبل سلوك طريق مدريد وأسلو) عنصري "التزوير واغتصاب الشعار".

إن الذين استعرضوا إعلاميا افتتاح سفارة لمنظمة التحرير الفلسطينية في طهران. ونادوا استعراضيا بيوم القدس العالمي..

لم يكونوا جاهلين أن الأسد الذي تحالفوا معه هو من ارتكب مذبحه تل الزعتر في لبنان سنة ١٩٧٦م، وتبعها بمذابح أخرى، وبحرب المخيمات.

من هنا كانت المشاركة الأسدية في نفي ما بقي من المقاومة الفلسطينية من لبنان إلى تونس هي التمهيد لقرار التحالف الثنائي المقترن بصناعة "منظمة حزب الله" سنة ١٩٨٠، كي تحتل بمنطلقاتها الطائفية وارتباطها المباشر بإيران، مكان المقاومة الفلسطينية.

كما أصبح انتحال عناوين المقاومة والممانعة مدخلا لتأمين التغطية برداء "قومي عربي" على العنصرية والطائفية في مشروع الهيمنة الإيراني، أو كان (غطاء للاختراق الفارسي باسم الممانعة) وفق تعبير د مازن هاشم^(٩).

لم يكن رفع شعار "المقاومة" بذلك إلا على غرار النهج الأسدي في التخلي عن الجولان دون قتال، ثم التعهد بسكون جبهتها عشرات السنين، وتأمين سلطته غير الشرعية بتصويره "بطل المواجهة" في حرب ١٩٧٣م التي لم يترتب عليها لاحقا سوى نكبات سياسية كبرى في قضية فلسطين.

هوامش

(٥) طارق الحميد، مصدر سابق (الهامش ٢)

(٦) "" مع ثورة إيران...

(٧) نبيل شبيب، "كلمة باسم المركز الإسلامي في آخن واتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا"، أقيمت في طهران يوم ١٥ / ٢ /

١٩٨٠م ونشرت في مجلة الرائد، العدد ٤٢، آذار/ مارس ١٩٨٠م

(٨) د مازن هاشم، التحولات الكبرى في المشرق العربي، ١٥ / ٧ / ٢٠١٤م، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، ص ٤٧

- ٣- عداءات ومودة: إيران وتقلب العلاقات الدولية
- ٤- الفوضى الهدامة: أعاصير مضادة لثورات شعبية
- ٥- خطوط حمراء: واشنطن والعقبة الصهيونية
- ٦- مرتكزات السيطرة: المشروع الإيراني في سورية
- ٧- مرتكزات الهيمنة: المشروع الإيراني عبر سورية
- ٨- ثورة التغيير: أثر الثورة في سورية إقليمياً ودولياً
- ٩- ما وراء الأفق: نظرة استشرافية وتوصيات

٢- سورية وإيران في العهد الأسدي (حوالي ٦٠٠ كلمة)

- (١) لمحات حول جذور المشروع الإيراني في سورية تاريخياً منذ ١٩٧٩م
- (٢) استعراض بعض الأنشطة الإيرانية (مذهبية / أمنية / عسكرية / سياسية / اقتصادية) قبل الثورة وطبيعة تأثيرها المستقبلي

٣- سورية مرتكز المشروع الإيراني إقليمياً ودولياً (حوالي ١٨٠٠ كلمة)

- (١) دور الجزء السوري في المشروع الإيراني الإقليمي في تعزيز أجزائه الأخرى
- (٢) نقاط التواصل والتقاطع مع الساحة الدولية وعلاقتها بالمشروع الصهيوني
- (٣) عرض المتغيرات الإقليمية والدولية.. واستشراف مدى ثباتها وتطورها / ارتباطها بالمشروع الإيراني وتأثيرها عليه

٤- هل توقف الثورة في سورية مسار المشروع الإيراني؟.. (حوالي ١٥٠٠ كلمة)

- (١) موقع الوجود الإيراني بين أسباب الثورة وتأثير مسارها وأساليب قمعها على التعامل المستقبلي مع إيران ومشروعها
- (٢) هل ينتهي الوجود الإيراني في سورية بسقوط الأسد؟.. (التمييز بين عدة احتمالات لحجم السقوط / موضع سورية في مشروع الهيمنة الإيراني استراتيجياً)

٥- خاتمة وتوصيات (حوالي ٦٠٠ كلمة)

- الصراع طويل الأمد / طبيعته والعوامل المؤثرة فيه سلبي وإيجاباً / توصيات

، و(٢) ما صنعه هذا التحالف داخل سورية من مرتكزات لها صبغة "ديمومة" التأثير.. ليتمكن التقدير المطلوب في التعامل مع "الإرث" الإيراني المنتظر، بعد اكتمال سقوط النظام الأسدي.

ثانياً: صناعة مرتكزات مشروع الهيمنة

رؤية الطابع الطائفي المخادع منذ الولادة الأولى للتحالف الثنائي الإيراني الأسدي ضرورية لاستيعاب ما مضى..

كذلك معرفة ما صنع هذا التحالف عبر أكثر من ٤٠ سنة، من مرتكزات لاستدامة الوجود الإيراني في سورية مستقبلاً، ضرورية لتقدير ما "يبقى" منه بعد اكتمال سقوط النظام الأسدي.

المرتكز الأول: القوة المسلحة

فتحت الثورة الشعبية أبواب التأثير أمام أطراف إقليميين لم يكن لهم من قبل تأثير مباشر داخل سورية، ولكن لم تشهد سنوات الثورة سعياً مدروساً من جانبهم لصناعة "مرتكزات" مستدامة للتأثير، وعلى النقيض من ذلك نجد الطرف الإيراني الإقليمي تحديداً يسعى عبر هذه السنوات لتحقيق عنصر "استدامة تأثير عنصر القوة المسلحة" من خلال "تراكم الإنجازات"، فهو (الوحيد الذي يعمل على معازمة ومراكمة إنجازاته في سوريا بشكل منهجي مع مرور الوقت) كما يقول الخبير في شؤون الثورة في سورية غياث بلال^(١٠)، ويركز بهذا الصدد على إنشاء الميليشيات وتسليحها وتدريبها، و"استقلالية" قيادتها، وغير ذلك مما يجعلها قوة قائمة بذاتها، يمكن اعتمادها في خدمة المشروع الإقليمي الإيراني، بمشاركة النظام الأسدي ومن دونه. ويمضي غياث بلال بذلك إلى القول: (إيران عبر أذرعها العسكرية وميليشياتها الإقليمية استكملت عملية تحويل النظام السوري إلى ميليشيا طائفية تدير أجزاء من سوريا وتعمل في سياق تحقيق المصالح الإيرانية الكبرى، الأمر الذي يبرر ويفسر تصريح المسؤول الإعلامي "مهدي طالب" بأن سوريا هي المحافظة ٣٥ في إيران)^(١١).

وبهذا الصدد يقارن الكاتب عدنان علي بين روسيا وإيران فيقول (فبينما دعمت روسيا النظام عسكرياً وغطته سياسياً وسانده مالياً، فإن طهران عملت إضافة إلى ذلك، على التمدد الميداني عبر الميليشيات الموالية، وعبر عسكرها الموجودين على الأرض، ما جعل لها أفضلية على روسيا، وتالياً قدرة أكبر على التحكم بمجريات الأمور)^(١٢).

الهامش (١٦)

ما بعد الأسد:

حزب الله السوري.. ذراع إيرانية بسوريا ما بعد الأسد، عمر أبو خليل، ٢٧ / ٢ / ٢٠١٥ م، شبكة الجزيرة

<http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/2/27/حزب-الله-السوري-ذراع-إيرانية-بسوريا-ما-بعد-الأسد>

(وبات الحزب أمراً واقعا على الساحة السورية، أكده الجنرال حسين همداني أحد قادة الحرس الثوري الإيراني سابقاً، عندما تحدث في أكثر من مناسبة عن تأسيس إيران "حزب الله" في سوريا على غرار حزب الله اللبناني)
(قدر الناشط الإعلامي محمد الساحلي- من ريف اللاذقية - أن عدد أفراد الحزب في سوريا تجاوز 15 ألف مقاتل)

الهامش (٥) د بشير زين العابدين، سوريا: التحولات الإستراتيجية ومكاسب الثورة، ٢٢ / ٣ / ٢٠١٥ م موقع مجلة العصر،

<http://alassr.me/articles/view/16055>

- (المعادلة الإستراتيجية في سوريا تمر بتحولات حاسمة تتمثل في:
- ١- اضمحلال دور النظام لصالح الهيمنة العسكرية الإيرانية.
 - ٢- تمتع الميلشيات الطائفية بالتسلح والدعم الدبلوماسي الأمريكي)

المرتكز الثاني: عنصر التشيع محورا لاستراتيجية متكاملة

لا تظهر قيمة "المعلومات التفصيلية" دون وضعها في قالب "مشروع استراتيجي متكامل يستهدف ديمومة السيطرة عبر التغلغل في مفاصل صناعة الإنسان والعلاقات البنوية للمجتمع" فهذا ما يمثل الدعائم الضرورية لحمل حصيلة الجهود المبذولة في الميادين التقليدية، السياسية والاقتصادية والمالية وغيرها. ولم يعد خافيا في هذه الأثناء أن الوسيلة المحورية لذلك في مشروع الهيمنة الإيراني تعتمد على نشر المذهب الشيعي بمختلف الوسائل. وبالنسبة إلى سورية كساحة للتشيع يمكن الحديث بتفاصيل واسعة النطاق على ما صنع حتى الآن، وسبق إجراء دراسات وبحوث منهجية منها (دراسة ميدانية رائدة ممولة من الاتحاد الأوروبي في الأشهر الستة الأولى من عام ٢٠٠٦م..). وقد نوه بها وبعض بياناتها التفصيلية الباحث الفلسطيني خالد سنداوي، المتخصص في دراساته وكتبه حول الشيعة وأدب الشيعة عموما، وذلك في دراسة مفصلة له يقول في مطلعها: (لم يكن في سوريا قط نسبة كبيرة من السكان الشيعة، ولكن في السنوات الأخيرة أصبح هناك زيادة في حالات التحول إلى المذهب الشيعي "أي التشيع" ضمن السكان السوريين، السنة والإسماعيليين والعلويين. وقد أدى القرب الجغرافي لسوريا مع إيران دائما إلى درجة معينة من النفوذ الإيراني في سوريا، والذي زاد كثيرا مع وصول بشار الأسد إلى السلطة في عام ٢٠٠٠، بعد وفاة والده حافظ)^(١٢).

المرتكز الثالث: المالي والعقاري

معظم من سبق الاستشهاد بهم في متابعة ما صنع التحالف الثنائي في سورية أو الطرف الإيراني فيه خلال العقود الماضية، يذكرون أيضا السيطرة على مفاصل اقتصادية ومالية يكمل بعضها بعضها، أبرزها تجنيس أعداد كبيرة من الإيرانيين، شراء العقارات، عقود اقتصادية طويلة الأجل، ارتهان الثروات السورية لسداد القروض الكبيرة المقدمة بصيغة "مساعدات" أثناء الثورة. إن الاعتماد على ذلك بعد سقوط النظام الأسدي، مرتبط في الدرجة الأولى بما يتحقق في فترة الانتقال من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولة، وهنا يطرح السؤال نفسه عن وجود القوة السياسية اللازمة لإنهاء ما يشبه "الاستعمار الاقتصادي" لتضمن تحقيق ما يمضي إليه بعض من يتحدثون عن ذلك مثل الإعلامي (المنشق) عدنان عبد الرزاق (سيطرت إيران على معظم الاقتصاد السوري... فهل تسقط تلك الاتفاقات والعقود بسقوط نظام بشار الأسد... يقول مدير هيئة البطالة السابق، حسين عمّاش: سوف تلغى كافة العقود والاتفاقيات الدولية التي عقدها الأسد، وخاصة مع إيران، مع سقوط حكمه، كما ستلغى كافة القرارات المنحازة... وستعود الحالة القانونية للأفراد والأموال وعقود الدولة إلى ما كانت عليه في سورية قبل الثورة عام ٢٠١١)^(١٤).

المرتکز الرابع: العلاقات الدولية

في دراسة قيمة بعنوان "ما بعد الاتفاق النووي: حسابات إيران وعلاقتها"، تناولت د فاطمة الصمادي بإسهاب نتائج هذا الاتفاق بمنظور مستقبل الدور الإيراني إقليمياً وموقعه دولياً، وتؤكد فيها أن (الاتفاق ينهي أزمة الملف النووي الإيراني، لكنه يفتح ملفات أزمات أخرى، مما يوجد حاجة ماسة لبناء آليات لمواجهة هذه الأزمات والمخاطر) ووضعت في الدراسة جدولاً يعدد الاحتمالات المستقبلية المتعارضة ما بين مؤيد ومعارض للاتفاق بالمنظور الأمريكي، ومن ذلك على سبيل المثال "فرصة كبيرة لتعاون واشنطن وطهران في أفغانستان والعراق، تعزيز المنافسة في العراق وسورية واليمن، تفاقم قلق الشركاء العرب، شرخ في العلاقات الأمريكية-الإسرائيلية"^(١٥).

وتحت عنوان "الولايات المتحدة وإيران: تفاصيل الشراكة المنكرة في سورية والعراق" يعدد الباحث علي حسين باكير حلقات مسلسل تطور علاقات هذه الشراكة مشيراً إلى بدايتها قبل الثورات العربية، من عام ٢٠٠٩م على الأقل، وشملت تعاوناً مباشراً في الملف العراقي، ومفاوضات سرية بعد اندلاع الثورة في سورية، وصولاً إلى الاتفاق النووي عام ٢٠١٥م^(١٦). ويختم بقوله

هناك تحول استراتيجي يجري في المنطقة، والهلال الشيعي الذي لطالما أنكره كثيرون في السنوات الماضية واتهموا من يتحدث عنه بالطائفية أصبح حقيقة يتحدث عنها الإيرانيون أنفسهم، والشراكة الأمريكية الإيرانية تبدو أكثر وضوحاً يوماً بعد يوم، نعم سيتغير وجه المنطقة، ولكن للأسوأ، خصوصاً إذا لم يكن هناك رد فعل مشترك لوقف هذه الشراكة.

ويعزز ذلك ما نقله د بشير زين العابدين عن فردريك هوف، المستشار السابق عن الملف السوري في وزارة الخارجية الأمريكية، من تفاصيل عن سلسلة اجتماعات ثنائية سرية شملت تحديد "ملامح التعاون العسكري لتغيير معادلة الصراع في سورية" على خمسة محاور:

١- إضعاف الجسد السياسي المعارض تمهيداً لتأسيس نظام حكم توافقي يحافظ على بنية النظام.

٢- تفكيك الكتائب المقاتلة على الأرض تحت ذريعة التطرف.

٣- إشراف الاستخبارات الأمريكية على تشكيل قوات "معتدلة" غير معنية بمحاربة النظام.

٤- تعزيز دور الميليشيات الإثنية والطائفية العابرة للحدود في استنزاف المعارضة المسلحة وفرض الأمن في المناطق التي لا يصل إليها النظام.

٥- اقتسام مناطق النفوذ عبر تأسيس نظم إدارة فيدرالية تقوم على مفهوم "تمكين الأقليات"^(١٧).

على هذه الخلفية يصعب الأخذ بقول "سلامة كيلة" (سينطلق المنظور الأمريكي تجاه سوريا، ليس من التقاسم مع روسيا فقط، بل كذلك من ضرورة إبعاد إيران عن سوريا إرضاء للدولة الصهيونية)^(١٨).

الهامش (١٤)

أوباما (واقترابه أو ابتعاده في مقارباته للعلاقة مع إيران مرتبط بشكل وثيق بباقي ملفات الإقليم والعالم: محاربة تنظيم الدولة في العراق وسوريا، والبحث عن صيغة سياسية ما لحل الأزمة السورية، والحفاظ على العراق من التمزق الطائفي والمذهبي، والانقلاب الحاصل في اليمن، واقتراب الحوثيين من مضيق باب المندب. تتيقن الإدارة الأميركية أنها في هذه الملفات بحاجة للتفاهم مع إيران،)

(احتمالية أخرى ترى أن الاتفاق سيمتدح إيران فرصاً أكبر لزيادة نفوذها ويوسع من هامش تدخلها في عدد من الساحات التي لها موالون فاعلون فيها، مثل: سوريا، ولبنان، والعراق، واليمن، والخليج العربي، وأن هذا النفوذ سيأتي على حساب نفوذ عدد من الدول المؤثرة في المنطقة وفي مقدمتها السعودية وتركيا. ولذلك ستلجأ تركيا إلى تبني سياسة خارجية تتعامل مع هذا الاحتمال بمرونة كبيرة، وسنرى آثار ذلك في عدد من الملفات قد يكون الملف السوري أبرزها. لكن السؤال يتركز بصورة كبيرة على السياسة التي ستتتبعها السعودية لإدارة ملف التنافس والصراع مع الطرف الإيراني وفقاً لهذه المستجدات)

روسيا والأسلحة. الصين والاستثمار.. الهند والنفط (في المحصلة يمثل الاتفاق ربحاً استراتيجياً لإيران، يعزز من مكانتها الإقليمية، وبدون إدارة واعية للأزمات فإن الاتفاق سيقود إلى مزيد من أقلمة الصراعات في المنطقة مما قد يزيد حدتها وامتدادها زمنياً وجغرافياً)

ويلفت د مازن هاشم النظر إلى هدف إيراني إقليمي في سورية هو (السيطرة على العقد الجيوسياسية المهمة خاصة على الحدود اللبنانية والأردنية)^(١٩).

كما يعدد هاشم من بين المآرب الإيرانية في سورية أن تكون "بوابة حصار تركيا" بما يكمل "دور العراق"^(٢٠).

الخاتمة!!!!!!!

الهامش (١٠)

سونر چاغابنای و باراغ خانای، إعادة تشكيل الشرق الأوسط: تركيا ضد إيران ضد المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣/٩/١٣م، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/middle-east-reconfigured-turkey-vs.-iran-vs.-saudi-arabia>

ثلاث قوى متناقضة: إيران وتركيا والسعودية

(إن القوى التي تمثل سياسة إيران الخارجية متعاطمة الشأن، ومواقف تركيا المؤيدة لـ «جماعة الإخوان»، ورغبة السعوديين في الحفاظ على الأنظمة المتبقية في المنطقة سوف تتطاحن ضد بعضها البعض، متجاوزة الحدود الحالية الأمر الذي أدى إلى مفارقة التوترات، ومثيرة للطائفية باسم تحقيق طموحاتها الواقعية.)
(لقد بددت الولايات المتحدة "الربيع العربي" بعدم وقوفها إلى جانب الديمقراطية الليبرالية، وهو برنامج لا تروج له أي من القوى الإقليمية الثلاث. فقد عاد المواطنون عبر أنحاء المنطقة مرة أخرى إلى النطق بشعارات مناهضة للولايات المتحدة من أجل الإعراب عن سخطهم ومحتنهم. وفي المرحلة القادمة يجب على واشنطن أن تبحر في الشرق الأوسط الجديد؛ وإلا فإن الخريطة السياسية والأيدولوجية للمنطقة سوف يعاد رسمها من قبل دول رئيسية أكثر نفوذاً)

الهامش (٣) على حسين باكير، الولايات المتحدة وإيران: تفاصيل الشراكة المنكرة في سورية والعراق، ٢٠١٤/١٢/١٧م، سورية نت،

<https://www.alsouria.net/content/الولايات-المتحدة-وإيران-تفاصيل-الشراكة-المنكرة-في-سوريا-والعراق/>

(أما تركيا، فقد اختلفت ولا زالت تختلف بشكل علني مع واشنطن في عدد من الملفات الإقليمية وعلى رأسها سوريا، وهي وإن لم تستطع بعد دفع واشنطن لمراجعة حساباتها، إلا أنها تلعب دوراً مزعجاً للإدارة الأمريكية، ولا تزال تتمسك بمطالبها وتمارس كل ما في وسعها لتحقيق هذه المطالب، وهي في النهاية تمتلك خيارات أوسع في التأقلم مع الأوضاع في حال لم تنجح في مسعاها، سواء فيما يتعلق بالعلاقة الأمريكية – الإيرانية، أو العلاقة الأمريكية – الإسرائيلية، وهو ترف لا تمتلكه بعض الدول العربية الإقليمية الكبرى.

الهامش (٤) غياث بلال، دور إيران ووكلائها الإقليميين في الأزمة السورية، ١٣ / ٣ / ٢٠١٥ م، مدونة نحو غد أفضل،

<http://www.ghiathbilal.com/index.php/ar/articel/politic/237> -دور-إيران-ووكلائها-الإقليميين-في-الأزمة-السورية

وفي شبكة الجزيرة:

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/3/10> /دور-إيران-ووكلائها-الإقليميين-في-أزمة-سوريا

(جميع أشكال التدخل العسكري الإيراني المباشر أو عبر الوكلاء تندرج في سياق استراتيجية أوسع تتعامل مع الملف السوري على عدة مستويات، وتنطلق من رؤيا إقليمية متكاملة)

ص ٤٩ (التحويلات) مازن هاشم

استنتاجات: خليط الذات والأجندة الدولية / القرار الدولي لم يتخذ صيغة نهائية بعد / لا تكفي المقاطعة والتجاهل / الاختراقات والمبادرة تجاهها / خطأ اعتبار التفاهم دوليا لصالح العرب / المدخل الطائفي وحده غير فاعل / إخماد الثورات في صالح إيران/

هوامش:

(٢١)-

٢- سورية وإيران في العهد الأسدي (حوالي ٦٠٠ كلمة)

(١) لمحات حول جذور المشروع الإيراني في سورية تاريخيا منذ ١٩٧٩ م
(٢) استعراض بعض الأنشطة الإيرانية (مذهبية / أمنية / عسكريا / سياسيا/ اقتصاديا) قبل الثورة وطبيعة تأثيرها المستقبلي

٣- سورية مرتكز المشروع الإيراني إقليميا ودوليا (حوالي ١٨٠٠ كلمة)

(١) دور الجزء السوري في المشروع الإيراني الإقليمي في تعزيز أجزائه الأخرى
(٢) نقاط التواصل والتقاطع مع الساحة الدولية وعلاقتها بالمشروع الصهيوني
(٣) عرض المتغيرات الإقليمية والدولية.. واستشراف مدى ثباتها وتطورها / ارتباطها بالمشروع الإيراني وتأثيرها عليه

٤- هل توقف الثورة في سورية مسار المشروع الإيراني؟.. (حوالي ١٥٠٠ كلمة)

(١) موقع الوجود الإيراني بين أسباب الثورة وتأثير مسارها وأساليب قمعها على التعامل المستقبلي مع إيران ومشروعها
(٢) هل ينتهي الوجود الإيراني في سورية بسقوط الأسد؟.. (التمييز بين عدة احتمالات لحجم السقوط / موضع سورية في مشروع الهيمنة الإيراني استراتيجيا

٥- خاتمة وتوصيات (حوالي ٦٠٠ كلمة)

الصراع طويل الأمد / طبيعته والعوامل المؤثرة فيه سلبا وإيجابا / توصيات

هوامش

عبد الوهاب بدرخان، هل تخلت إيران عن الأسد؟، ٧ / ٥ / ٢٠١٥ م، جريدة الحياة اللندنية

<http://alhayat.com/Opinion/Abdulwahaab-badrakhan/9040432----الهل-تخلت-أميركا-عن-الأسد>

[وهل-أوقفت-إيران-الحرب-من-أجله؟](#)

يستند إلى التقدم على الأرض.. وغياب النجدة الإيرانية

(والواقع أن الإيرانيين لم يعودوا مقتنعين بجدوى أي دعم، صحيح أنهم لا يزالون متمسكين بالنظام، إلا أنهم مضطرون إلى الاعتراف بأن النظام بات عاجزاً عن تأهيل نفسه، وبأنهم لم يتمكنوا من إعادة تسويقه حتى في إطار المشاركة في "الحرب على داعش")

(لا تزال هناك خطوط حمرة على المعارضة، وهي معروفة: عدم إسقاط النظام عسكرياً، عدم التعرض لمناطق العلويين في الساحل، عدم التسبب بانتهيار الدولة ومؤسساتها. واقعياً، لم تعد "الدولة" و"المؤسسات" سوى أجسام شبحية فارغة)

مشروع الهيمنة الإيراني أخطبوطي البنيان، رأسه غرفة عمليات، وأذرعه قابلة للامتداد والتوالد، وتتشابك مع أذرع هيمنة دولية. مواجهة الأخطبوط تتطلب استراتيجية متكاملة، يمكن أن تصبح الثورة الشعبية "بداية" لها، وإثم التقصير في التلاقي على ذلك إثم كبير في الحاضر وفي المستقبل العربي والإسلامي والدولي

هوامش

(١٠) - غياث بلال، دور إيران ووكلائها الإقليميين في الأزمة السورية، ١٣ / ٣ / ٢٠١٥ م، في مدونته: نحو غد أفضل،

<http://www.ghiathbilal.com/index.php/ar/articel/politic/237-دور-إيران-ووكلائها-الإقليميين-في-الأزمة-السورية>

وفي شبكة الجزيرة:

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/3/10-دور-إيران-ووكلائها-الإقليميين-في-أزمة-سوريا>

(١١) - المصدر السابق.

(١٢) - عدنان علي، "كيف ترسخ إيران وجودها في سوريا ما بعد الأسد؟"، ١٧ / ٣ / ٢٠١٥ م، "الخليج أون لاين"

<http://alkhaleejonline.net/#!/articles/1426573041487990100/>

(١٣) - خالد سنداوي، "زمن الشيعة: حقائق وأرقام عن التشيع في سورية"، ترجمة حمد العيسى، نشرت على حلقات ابتداء من

يوم ٢٥ / ٦ / ٢٠١٣ م، في عدة مواقع شبكية، منها موقع مجلة العصر:

<http://alasar.me/articles/view/14417/>

كما يشير إلى هذه الدراسة ودراسات أخرى موقع "زمان الوصل" في موضوع من إعداد وترجمة إيثار عبد الحق، في سبع حلقات أولها يوم ٢٨ / ١٠ / ٢٠١٣ م:

<https://www.zamanalwsl.net/news/42509.html#sthash.xaiorBER.vFX3vkhj.dpuf>

ويمكن لمن يريد الاستزادة من مصدر شيعي أن يرجع إلى القسم المخصص لسورية في موقع "مركز الأبحاث العقديّة في العالم"

<http://www.aqaed.com/shia/world/syria/>

(١٤)- عدنان عبد الرزاق، عقود إيران مع سورية مهددة بعد سقوط الأسد، ١٨ / ٧ / ٢٠١٣ م، موقع صحيفة العربي الجديد،

<http://www.alaraby.co.uk/economy/2015/7/18/عقود-إيران-مع-سورية-مهددة-بعد-سقوط-الأسد>

(١٥)- د فاطمة الصمادي، "ما بعد الاتفاق النووي: حسابات إيران وعلاقتها"، ٢٨ / ٧ / ٢٠١٥ م، مركز الجزيرة للدراسات

<http://studies.aljazeera.net/reports/2015/07/201572892545969179.htm>

(١٦)- على حسين باكير، الولايات المتحدة وإيران: تفاصيل الشراكة المنكرة في سورية والعراق، ١٧ / ١٢ / ٢٠١٤ م، سورية نت،

<https://www.alsouria.net/content/الولايات-المتحدة-وإيران-تفاصيل-الشراكة-المنكرة-في-سوريا-والعراق>

(١٧)- د بشير زين العابدين، سوريا: التحولات الإستراتيجية ومكاسب الثورة، ٢٢ / ٣ / ٢٠١٥ م موقع مجلة العصر،

<http://alasar.me/articles/view/16055>

(١٨)- سلامة كيلى، ما بعد الاتفاق، شبكة الجزيرة، ١٩ / ٧ / ٢٠١٥ م،

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/7/19/ما-بعد-الاتفاق-النووي-مع-إيران>

(١٩)- د مازن هاشم، الثورة السورية في سنتها الخامسة، ١٧ / ٣ / ٢٠١٥ م، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، ص ١٧

<https://www.omrandirasat.org/sites/default/files/pdf/الثورة%20السورية%20في%20سنتها%20الخامسة>

(٢٠)- د مازن هاشم، التحولات الكبرى في المشرق العربي، مصدر سابق.